مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 15 العدد 3 (السداسي الثاني 2023م)
ص.521 – 540

الإسلام في مرآة الغرب (دراسة تاريخية)

Islam in the mirror of the West (Historical study)

الزهرة عياري*
جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)
zohra .ayari@univ-soukahras.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/14 تاريخ القبول: 2023/07/31 تاريخ النشر: 2023/12/15

ملخص:

تقدم هذه الدراسة ملخصا للصورة النمطية التي عرف بها الاسلام في الفكر الغربي، والمبنية في الأساس على توجه متعصب وجاهل بالحيثيات ، والذي شكل منهجا بحثيا اعتمدته الدراسات الإسلامية في فترة العصور الوسطى وما بعدها ،هذه الدراسات التي حصرت شخصية الرسول العظيمة في خانة الادعاء والاختلاق ، في سبيل إرضاء الأهواء المريضة والأحقاد الموروثة ،فكل البحوث الاستشراقية التي اهتمت بالدين الإسلامي استندت في معظمها على مرجعيات واهية تتوافق مع الأهداف الغربية، التي سعت جاهدة لإنكار قداسة القرآن الكريم وتكذيب الرسالة المحمدية وإسقاط الشريعة الإسلامية، أما التشويه الذي تعرض له الاسلام المعاصر فهو ناتج عن استغلال السياسيون والإعلاميون الغربيون للإسلام السياسي وما يحيط به من تطبيقات خاطئة و أفكار دخيلة جامدة تشرع العنف وترسخ الهمجية والتطرف.

الكلمات المفتاحية :الإسلام ، الاستشراق ، الرسول ،المسيحية ،اليهودية .القرآن الكريم.

Abstract:

This study provides a summary of the stereotyped image of Islam in Western thought, which is mainly based on fanatical orientation and ignorance, and which formed a research method adopted by Islamic studies in the Middle Ages and beyond. These studies were limited to the great personality of the Prophètein the category of pretending and fabrication to satisfy morbid desires and inherited grudges. The orientalist studies that concerned themselves with the Islamic religion were mostly based on flimsy sources that correspond to Western goals that sought to deny the sanctity of the Holy Qur'an, deny the Islamic message, and overthrow Islamic law.

Keyword : Islam; Orientalism; Prophet ; Judaism, Christianity.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لطالما كان المسيحيون والمسلمون يتصفون دائما بروابط روحية مشتركة – وإن كانت محدودة الأبعاد – والتي ترجع إلى الأرومة الإبراهيمية التوحيدية ،كما كانوا يُدركون الاختلاف الجوهري بين أيديولوجيتهما في نفس الوقت، فمنذ بدء انتشار الإسلام، ونشُوء الحضارة العربية الإسلامية ظهر التضاد الديني الإيديولوجي بين الفكر الغربي والعربي، على الرغم من أن عملية التواصل الثقافي لم تنقطع كليًا بين الإقليمين، ففي القرن الثامن للميلاد التقى الإسلام في سوريا مع الفكر المسيحي الشرقي كما وضعه الآباء الإغريق في وقت سابق، فجذور النصرانية راسخة لمدة تزيد على (600 سنة) في الشرق الأوسط، وهي المنطقة التي بدأت فيها، ليظهر فجأة دين جديد في آفاق الجزيرة العربية، والذي حقق انتشارًا سريعًا ليس في الجزيرة العربية فقط، بل في مناطق أخرى أبعد بكثير، مؤكدّا أنه جاء لإتمام الرسالات التي جاءت من قبله، معترفا بالديانات السماوية التي سبقته، ومُقدسًا لأنبيائها(عليهم السلام) فارضًا نفسه من خلال الاقتناع به فقط، وفي هذه اللحظة شعرت المسيحية لأول مرة أنّها مهددة في عُقر دارها، لأن الاعتراف بهذا الدين الجديد يعني تقويض مكانتها ودحض مقوماتها، لذلك أدركت منذ فترة مبكرة أن بقاءها متلازم مع ضرورة تحطيمه وتراجعه. وحاولت تحقيق هذا من خلال كتابات المسيحيين المتعصبين والمبنية على افتراضات – أو افتراءات بمعنى أصح - وأفكار متكونة سلفًا و تحيزات غالبًا ما كانت مجرد أكاذيب لا تمت للواقع بأية صلة. كما لا يمّكن التقليل من شأن نتائج هذا الموقف الذي أدى إلى عداوة أبدية بين الإسلام والمسيحية، أو بين الشرق والغرب، لأن النصرانية لم تقتصر على الشرق الأوسط فقط، بل أنشأت مراكز أخرى في أوروبا والعالم، محركة بذلك العالم الغربي بأكمله لمحاربة الإسلام حربًا دينية، واضعة بذلك حدّا لأي فهم واعٍ متفتح. وفي ظل هذا الصراع القائم بين الغرب والشرق يمكننا طرح الإشكاليات الآتية:

- كيف تشكل واقع التصورات الغربية عن الإسلام عبر مراحل التاريخ؟ وكيف تعامل المخيال الإستشراقي مع سيرة الرسول(ﷺ) والقرآن الكريم ؟ والى أي مدى استطاع الإعلام الغربي تغطية الإسلام ؟

2. الإسلام بين الحقيقة والافتراء:

إن جُل التصوّرات المتكونة عن الإسلام كبدعة مسيحية مرتدة و منشقة، و عن محمد (ﷺ) كنبي مزيف انتقلت عن مسيحي سوريا وبالتحديد عن **"يوحنا الدمشقي"**[*] الذي ناقش الإسلام كبدعة، مشددًا على أنّ المسلمين يتفقون مع المسيحيين في الإيمان بإله واحد و لكنهم لا يعترفون بالعقائد الأساسية للمسيحية، و في مقدمتها الطبيعية الإلهية للمسيح (عليه السلام) وصلبه الأمر الذي يقلل في نظره من شأن الأطروحات الصحيحة وغير الكثيرة التي تضم تعاليم الإسلام بالإضافة إلى رفضه للكثير من اليقينيات الإسلامية التي لا يمكن للمسيحيين أن يتقبلوا التعايش معها مطلقا مثل القول بأن « محمدًا (ﷺ) نبي من الله وخاتم الأنبياء والمرسلين و أنّ القرآن كله كلمة الله المنزلة على محمد من السماء».[1]

وإذا اتفقنا مع فكرة أنّ التصورات الأوروبية عن الإسلام تشكلت ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر، فإننا يجب أن نشير إلى أن معظمها تكون في كثير من جوانبه على خلفية التفسير المسيحي الشرقي الذي وضعه **"يوحنا الدمشقي"** في العديد من مؤلفاته التي تُعد من أبكر الدراسات المسيحية عن الإسلام، فهذا الرجل اطلع على القرآن الكريم و بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وجلُ مجادلته في الإسلام ارتدت طابعًا لاهوتيًا محضًا و ليس طابعًا سياسيًا أيديولوجيًا والسبب في ذلك يعود و قبل كل شيء إلى أنها لم تجد تحوّلات جماهيرية في عهد الخلفاء الأمويين. «لأن المسيحيين السوريين لم يروا بعد في الإسلام خطرًا روحيًا عليهم و إنما وقفوا منه على أنه عقيدة مرتدة ».[2]

---

[*].يوحنا الدمشقي: كما يوحي اسمه ولد بدمشق بسوريا، و كان والده يحتل منصبًا في قصر الخليفة الأموي، كما أنّ يوحنا نفسه خدم في القصر في الجزء الأول من حياته، ثم أصبح راهبًا فيما بعد، و كرس حياته قسا على يد بطريق القدس، ولد نحو (675 – 750م) و هو حفيد منصور بن سرجون رئيس ديوان المالية في عهد معاوية، قاوم حركة (بدعة) و هي اتجاه يدعو إلى تحطيم الصور و الأيقونات، ألف في اللاهوت و الفلسفة و الخطابة، التاريخ والشعر، الألحان الدينية، مهد بمؤلفاته إلى نشأة تعليم الفلسفة و اللاهوت في أوروبا، ترجمت بعض كتبه للعربية منها كتاب " منهل المعرفة".

[1].أصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام (استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب)، تر: مازن مطبقاي،ط1، مركز الفكر المعاصر، دار الوعي للنشر و التوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية. 2013،ص27.

[2].أليكس فاسيليفيتش: الإسلام و المسيحية، تر: خلف محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة. 1978 ،ص61.

وفي مؤلفه الجدالي "**مناظرة بين ساراتي**[*] **و مسيحي**" – أعرب بعض الباحثين في الآونة الأخيرة عن صحة نسبة هذا الكتاب ليوحنا الدمشقي – وفيه يقدم حجج ضد الطبيعة الإلهية للرسالة المحمدية كالقول أنه «لم يبشر بها الأنبياء السابقون وأن محمدًا (ﷺ) لم يقم بأي معجزة شهيرة، تثبت حقيقة نبوته فعلاً، وأنه من غير المعقول والممكن أن يعدو نبيًا، لأن سلسلة الرسالات النبوية انتهت وختمت بيوحنا المعمدان».[1]

كما تناول **يوحنا الدمشقي** في كتابه " **De Hachebuis** " الإسلام من جهة أخرى، تمسك فيها بفكرة أنّ القرآن الكريم من وضع محمد، و ذلك من خلال نشره إشاعة كاذبة تقول بأن راهبًا نصرانيًا اسمه **بحيرا** ساعده في وضع القرآن وقد اعتقد يوحنا أن محمدًا (ﷺ) أصبح عارفًا بالعهد القديم والعهد الجديد على الأرجح من خلال علاقته بهذا الراهب العربي و عندما تظاهر بالطيبة استطاع حسب وجهة نظره أن يكسب قومه كما أيد يوحنا كل الأكاذيب التي ردّدها الكتاب البيزنطيون الآخرون والتي تقول بأن «النبي (ﷺ) كان يعاني من الصرّع، وهذا ما يبرر سلوكه الجنسي، وكان الهدف من كل هذا تقديم الإسلام بصورة تبين أنه دين يسمح بتعدد الزوجات والجواري والانغماس في العلاقات الجنسية، من أجل أن يؤيد قناعته ردد يوحنا رواية مزيفة من ابتكار خياله المريض والعاجز، يحكي فيها كيف أجبر الرسول (ﷺ) زيدًا ابنه على تطليق زوجته و تزوجها هو بنفسه».[2]

لقد بني الفكر الأوسطي عن الإسلام في كل جوانبه تقريبًا على افتراءات يوحنا الدمشقي والكتاب البيزنطيون الذين عاصروه، ووفقًا لهذا التأطير لم تتغير النظرة إلى الإسلام لأسباب كثيرة منها انتشار قصة خرافية لطالما رددتها المسيحية الشرق أوسطية مفادها أن محمدًا (ﷺ) كان في البداية تلميذ للراهب **"النسطوري سرجيوس بحيرا"**[*]

---

[*].كان الساراتيون معروفين لدى الأوروبيين قبل أن يصبحوا مسلمين في غرب أوروبا، و هذه الكلمة جاءت من اليونانية أطلقها اليونانيين على عرب شبه الجزيرة العربية، و هناك افتراض يقول بأنّ هذه الكلمة نحتت من عبيد سارة، و لكنها في الحقيقة ظهرت في أوقات لاحقة دون أنّ يُتفق على نشأتها و إنّ كان المقصود بها في كل الأحوال العرب المسلمين و في جميع الدراسات الغربية.

[1].أليكس فاسيليفيتش: الإسلام و المسيحية. ص 62/ 63.

[2].أصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام. ص 27.

[*].بحيرا أو سرجيوس بحيرا: اسم راهب مسيحي تذكر المصادر المسيحية و الإسلامية المتأخرة أنّ هذا الراهب يدعى سرجيوس أما بحيرا فهو مشتق من الكلمة الآرامية بحير و معناها المختار و هو لقب له.

زاعمين أنه تلقى منه كل المعلومات الأساسية من التوراة و الإنجيل كما شرحنا سابقًا و بعد ذلك أعلن نفسه نبيًا وكوّن عقيدة خاصة به.

لكن الحقيقة التي حصلت في الواقع بخصوص هذه القصة أن الرسول (ﷺ) «عندما بلغ 12 سنة من عمره خرج إلى الشام مع عمه أبا طالب في قافلة له، فلما نزل الركب بالبصرة من أرض الشام أو ما جاورها لاحظ راهب كان يقطن تلك الجهة في صومعة له أن أحد أفراد ذلك الركب كانت تظلله عُمامة و أن الشجرة التي جلس تحتها قد تهدلت أغصانها لتظلله، هنا قرر الراهب بحيرا دعوتهم إليه، فاجتمعوا إلا محمد (ﷺ) تركوه لحراسة القافلة، فأخذ بحيرا يلحظه لحظًا شديدًا، ثم ذهب إليه وسأله بحق اللات و العزى أن يخبره عما يسأل عنه، ولكنه (ﷺ) أظهر بغضه للآلهة الوثنية، ثم أجابه عما سأله، فتأكد بحيرا أنه النبي الموعود ونصح عمه أنّ يحذر عليه من اليهود وغدرهم». [1]

أما الروايات المسيحية الشرقية الخاصة بالراهب بحيرا، فقد تطورت تطورًا عجيبًا وجمعت كل تفاصيل أحداثها في: **"سفر بحيرا"** وهو كتاب مسيحي – ومن المحتمل أنّ يكون قد وضع في صورته هذه في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر للميلاد – حفظ باللغتين السريانية والعربية في نسخ متعددة، وهذا المصنف يعزى إلى **إيشوعياب** يتألف من ثلاث أجزاء: «الأول وفيه القصص التي تتحدث عن القبائل العربية التي شاهدها من حيل **سرجيوس** سيناء، وعن لقائه بالمؤلف، والثاني يتطرق إلى المحدثات التي جرت بين الشاب محمد وبحيرا، والذي زوده بمعلومات عن اليهودية والمسيحية، والثالث عبارة عن سلسلة روئ عن الأزمنة المقبلة في الحكم العربي إلى مجيء المسيح الثاني – يقصد به المسيح الدجّال المتحقق في صورة محمد (ﷺ) -. وقد ورد في الجزء الثاني الذي يحتوي على أسطورة بحيرا المنحولة كيف لقن سرجيوس محمدًا (عليه أفضل الصلاة والسلام) عقيدته وشرائعه وأجزاء من القرآن وذلك بقصد أن يخرج العرب من وثنيتهم ويجعلهم يؤمنون ويعترفون بإله واحد». [2].

---

[1]. أبو محمد عن الملك ابن هشام: سيرة النبي (ﷺ)، ط1،دار الصحابة للتراث للنشر والتوزيع، مصر ، 1995، مج1، من (ص236 إلى 238).

[2]. مجموعة من المؤلفين: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للابداع الفكري ،ط1، ،1998باب (ب). ص1612.

إن أكبر كمية من المؤلفات عن تاريخ الإسلام وضعت في فترة العصور الوسطى، لما عرفته الفترة من سرعة انتشار لهذا الدين الجديد وتفوقه في جميع المجالات، فنجد مثلاً **دومينيكاني** الراهب المعاصر لدانتي، زار بغداد و خرج على الأوروبيين فيما بعد بحكاية خرافية مفادها «أن الشيطان لم يكن يمتلك قدرات ذاتية كافية لوقف انتشار المسيحية في الشرق الأوسط لذلك اخترع كتابًا يمثل حلقة وسطى بين العهدين القديم والجديد، واستخدم لأجل هذه الغاية الشريرة وسيطًا من طبيعة الشيطان ذاته يدعى **"محمدًا"** والذي يجسد دور المسيح الدجّال، أما الكتاب فهو القرآن».[1]

ومن الأساطير الأخرى التي نشرت عن نبي الإسلام محمد (ﷺ) «أنّه كان ساحرًا كبيرًا استطاع سحره خداع وتحطيم الكنيسة في إفريقيا وفي الشرق، وأنه سمح بالدعارة والفسق لكسب المزيد والأتباع لينسب بصفة عامة الانحلال الجنسي إلى المسلمين ويلتصق بهم حتى يصل إلى درجة غاية في الانحطاط، تزعم بأنّ القرآن نفسه يتساهل ويتسامح مع ظاهرة اللواط، وهذه الفكرة من أكثر الموضوعات انتشارًا في المؤلفات التي كتبها الأوروبيون عن الإسلام خلال تلك الفترة» [2].

كما صُوّر محمد (ﷺ) أحيانًا أخرى على أنه كان كاردينالاً [*] للكنيسة الرومانية الكاثولوكية وكانوا يطلقون عليه اسم **"ماهومت"** أو **"موميتو"** «الذي بعد أن قام بمحاولة فاشلة للجلوس على كرسي البابوية هرب إلى شبه الجزيرة العربية من أجلّ الثأر والانتقام وأسس ديانة أخرى جديدة».[3]

كل القصص والحكايات تشكلت في كنف لوحة تُصوّر أن الإسلام عقيدة ابتدعها محمد (ﷺ) تتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق الدينية، لأنها في نظرهم لون جديد من الهرطقة اليهودية أو المسيحية أو ضرب جديد من الوثنية، فهي دين الجبر والانحلال الأخلاقي والتساهل مع الملذات والشهوات الجنسية، إنها وبكل بساطة ديانة العنف والقسوة

---

[1]. أليكسن فاسيليفيتش: الإسلام و المسيحية. ص65.

[2].R.W Southern .western Views of Islam in the middle ages . HARVARD UNIVERITY PRESS. Cambridge. LONDON.1962.pp30

[*]. عضو أعلى هيئة في الكنيسة الكاثوليكية، دون مرتبة، الباب مباشرة.

[3]. أليكسن فاسيليفيتش: الإسلام والمسيحية. ص67.

فكل ما يتعلق بالإسلام عند هؤلاء سيء وشرير وخارج عن المعقول، ولكن هؤلاء الأوروبيين لم يسالوا أنفسهم كيف يمكن أن تجتمع كل هذه المساوئ في دين واحد حتى وإنّ كان مزيفا.

كما بدأ **بطرس الطليطلي** المسيحي بدوره الحديث عن ظهور الإسلام وعن التاريخ الشخصي للنبي (ﷺ) ووضعه للقرآن، الذي يرى انه من وضع اليهود السامريين وأرشد **"ياقون يعقوبي"** كما يدعي بطرس أنّ وجهة نظره هذه تشكل حجة دامغة ضد هذا الدين لأن محمدًا (ﷺ) حسب زعمه لم يقم بأي معجزات تدل على نبوته، كما حاول دحض تأكيدات البعض حول الطبيعة العقلانية للإسلام باستشهادات دقيقة من القرآن يظهر من خلالها أنّه دين العنف والعدوان على الناس لكنه يعود ويقول أن شريعة الساراتيين – العرب المسلمين – تفرض حربًا مقدسة (الجهاد) ضد المشركين «ليستنتج في الأخير أن الشريعة الإسلامية تناقض ذاتها إذ ترفض حادثة صلب المسيح (عليه السلام) رغم أن هذه الحادثة مؤكدة عند اليهود والمسيحيين وبهذا الاختلاف الجوهري تفصل نفسه عن الديانات السماوية و العقائد العقلانية فصلاً تامًا و بصورة نهائية».[1].

كما تعد ترجمة [*] **"روبرت كتنز (كتيوني)"** التي جرت تحت إشراف بطرس المبجل أو العظيم، أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم من العربية إلى اللاتينية، كما قامت مجموعة العمل نفسها بترجمة بعض الأحاديث المنسوبة إلى محمد (ﷺ) التي لم يتمكن الباحثين من الوقوف على أصلها العربي أو مصدرها، لأن المترجمين حسب زعم هؤلاء أهملوا الإشارة إلى الإسنادات الروائية التي كان يتبعها الفقهاء والمحدثون والمفسرون المسلمون في مسألة تحقيق الأحاديث النبوية.

---

[1]. أليكسن فاسيليفيتش: الإسلام و المسيحية. ص68.

[*]. يقول د. محمد ياسين عريبي في ملاحظة على تلك الترجمة: إننا نجد كتنز اعتمد في الترجمة على استخراج المعاني التخمينية للقرآن الكريم دون تحليل و فهم حقيقي للغة العربية و رغم استعانته ببعض التفاسير، إلا أنّه كان يميل إلى الاختصار والحذف في بعض الآيات لصعوبة تحديد المعاني اللغوية للقرآن وبهذا لا توجد أية واحدة مترجمة تعطي المعنى المقارب لحقيقتها، و على الرغم من الأخطاء الشنيعة، نجد أن هذه الترجمة أصبحت أساسًا للترجمات الأخرى و الأحكام المبسترة عن الإسلام في نظر الغرب إلى يومنا هذا. محمد ياسين عريبي: الاستشراق و تغريب العقل التاريخي، نقد العقل التاريخي. ص145.

ورغم الهينات الواضحة، والأخطاء التي ارتكبت في ترجمة "**روبرت كتننز**" للقرآن، لكن هذه النسخة اللاتينية عدت إلى أوساط القرن السابع عشر للميلاد أكثر الترجمات الغربية انتشارًا وأقربها نسبيًا إلى الإطار العام للاتجاهات القرآنية. أما "**دالماتا**" فقد كتب حوالي خمسة وأربعون صفحة عن مبادئ النبي محمد (ﷺ) وحياته، وعن تاريخ الإسلام، الذي وصفه بالمضحك متخذًا إطاره المرجعي من القصص والمحاورات الملفقة والمزعومة بين الأحبار (اليهود) والنبي والمشهورة عند الغرب بـ: "**Doctrine Mahumet**" وهي الاسرائيليات المشهورة عند المسلمين ب: "**مسائل عبد الله بن سلام**"(*). [1]

فقد اعتقد الوسط الغربي أثناء هذه الفترة أيضًا، بأنّ ما كان يصيب محمدًا (ﷺ) أثناء تلقيه الوحي ما هو إلا نوبات صرع، و هذا شيء غير معقول من الوجهة العلمية وذلك «لأنّ المصروع لا يتذكر شيءً مما حل به أثناء نوبة الصرع لأنّ حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه كليًا وقد أثبتت ذلك الدراسات العلمية الحديثة وأكده عبر تجارب عديدة على المرض».[2]

ولم يكن ذلك يصيب محمدًا (ﷺ) أثناء تلقيه الوحي بل كانت تتنبه كل حواسه في تلك الأثناء تنبها تامًا، كما أن بعد نزول الوحي كان يتذكر بدقة بالغة ما يتلقاه ويردده ويحُفظه للصحابة فيما بعد، ولكن الذي تنتابه نوبات الصرع بهذه الكثرة التي يدعيها هؤلاء تضعف قواه مع مرور الأيام، ولكن محمد (ﷺ) ظل محتفظا بها حتى آخر لحظة في حياته وهذا ما تشهد عليه خطبة الوداع التي ألقاها قبل موته، وهذا إن دل إنما يدل على صدق نبوته ورسالته (ﷺ).

(*).عبد الله بن سلام: كان يهوديًا ثم أسلم و هو من بني قينقاع، كان شريفًا في قومه و حبرًا علمًا، و لم أعلن إسلامه نبذه اليهود، و تحدثوا فيه و تروى عنه الكثير من الأحاديث التي عرفت " بالإسرائيليات ".

(1).عبد المنعم حنفي: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. 1990. ص314.

(2).مونتجومري وات: تأثير الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، تر: حسين أحمد أمين،ط1، دار الشرق، القاهرة، مصر.1983 .ص103.

ومن جهة أخرى شاهدت مسيحية القرون الوسطى على مدى ثلاثة قرون تقدم القوة الإسلامية، وانتشار عقيدة الإسلام في مختلف أقطار الأرض، فارتفعت بذلك موجات الكراهية والحقد، واشتد هديرها، وارتفع غليانها بمقدار ما بينهما من خلافات جوهرية، فلم يستول الخوف على القلوب من الجانب المسيحي العقائدي فقط، بل على جوانب أخرى متعددة ومتنوعة سياسية، اقتصادية وحضارية، لأن التقدم أثناء تلك الفترة حُصر في النموذج الإسلامي، فظلت هذه الأزمات مكبوتة إلى أن علت صرخاتها و تفجرت ثوراتها أثناء الحمالات الصليبية.

ولدت صورة محمد (ﷺ) ملتصقة بالمسيح الدجّال ونُظر للإسلام بوصفه مؤامرة دنيئة ضد المسيحيين مع وصول الصليبيين وتكاتفهم للحفاظ على الروح الصليبية «فقد ألقى البابا **إربان "Urban"** أول خطبة له حول الحملات الصليبية في **كليومنت** بفرنسا عام 1069م، محاولا ربط الفكرة الجديدة للحمـــلات مـع بعض الأفكار العتيقة الراسخة، والتي شاعت أخبارها في أوروبا: أعمال الخير والحج كما أرسى اللبنات الأساسية التي شكلت البذور الأولى للوعي الأوروبي من خلال التشديد على حق المسيحيين في السياحة على الأراضي التي ولد فيها المسيح (عليه السلام) و المسيحية».[1].

فالشرق الأوسط هي الأرض التي وصفها الكتاب المقدس، وهي التي تنتمي إليها الشعوب المسيحية منذ زمن بعيد فلذلك من حقها السيادة عليها، فقد أصبحت فكرة رحلة الحياة كحج إلى القدس المقدسة المثال الصليبي المتماسك، الذي يصعب فكه أو زحزحته، عن إطار الفتح والهيمنة على مركز المسيحية، متجهين نحو الشرق (East) الذي أصبح اسمه (Orient)، هذا الشرق الذي لا يمكن تخيل الحملات الصليبية أو التفكير بوجودها، لو لا ظهور الإسلام به.

لم يجلب الصليبيون معهم من الأراضي المقدسة معرفة أو علم بل مجرد حكايات خرافية صممت وركزت وكثفت الكراهية على أولئك الذين يسيطرون على الأراضي التي مشى عليها المسيح (عليه السلام) حيث اعتبروا محمد (ﷺ) – أو كما يسمونه **"Mohomet"** – «ساحرًا قام بتدمير الكنيسة في إفريقيا والشرق مُعلنًا ظهور ديانة جديدة فاسدة أُطلق

[1]. أليكسن فاسيليفيتش: الإسلام و المسيحية. ص65.

عليها اسم "الإسلام" تدعو إلى الانحلال الخلقي، والذي لقي حتفه خلال واحدة من نوبات صرعه المستمر مع قطيع من الخنازير، وفي حادثة مصرعه هذه أنزل ثور أبيض كل غضب المسيح على أتباع محمد وحمل على قرنيه شريعته هاربًا بها، وبقي قبره معلقًا في الهواء بمغناطيس وذلك عقوبة له عما فعله في الأرض».[1]

لقد أنتج المخيال الصليبي أساطير كثيرة و متنوعة حول النبي (ﷺ) والممارسات الإسلامية فقد لوثت الحروب التي جرت بين المسلمين و النصارى تاريخ الإسلام وموقفه، وهذا ما جعل الكنائس في تلك الفترة تقوم بنقل هذه الصورة السيئة لكل بيت في العالم الأوروبي بسبب الدم الذي أهدره و أساله دين العنف المخيف.

فلقد بلغ الأمر بأحد كبار المتحمسين والمدافعين عن الحروب الصليبية قوله: « إن المسلمين شديدوا الحماس لدينهم لدرجة أنهم دون رحمة يقطعون رأس اي مخلوق يهاجم هذا الدين في أي إقليم يسيطرون عليه».[2]

والواقع أن صورة الإسلام في المخيال الأوروبي أبعد ما تكون عن الحقيقة و الواقع، فاليهود والنصارى، لم يخيروا بين الإسلام والسيف، إنّما كان إسلامهم نابعا عن إرادتهم الخاصة، وعن قناعتهم التامة، أما الذين تم تخييرهم بين الإسلام والموت فهم عبدة الأوثان والأصنام لجهلهم وتعصبهم، وإذا كان النشاط الحربي للمسلمين بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) يملأ كتب التاريخ، فهو مجرد توسع سياسي ليس إلا وجاء اعتناق الإسلام كنتيجة لدعوة إليه أو عن طريق المعاملات الاجتماعية، ولكنّ الحقد السياسي الذي نتج عن انتشار الإسلام وسيطرته على مناطق كثيرة من العالم، والتعصب الديني دفعا هؤلاء الكُتّاب إلى البحث عن الجوانب المظلمة والفاسدة و سخّروها لوقف المد الإسلامي، ووجدوا نقطة بداية هذا الخط المؤدلج في حياة النبي (ﷺ) واستخدموها كدليل على أن الإسلام هو دين العنف والفساد الأخلاقي.

---

[1].ميشيل غود فريد: في علم النفس والطب النفسي، تر: حبيب نصر الله نصر الله،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. 2010 .ص85.

[2].قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، ط1، المجلس الوطني للثقافة و للفنون و الآداب، الكويت ،1990، ص07 وما بعدها.

ومن هنا يمكننا القول أنّ التصوّرات الغربية الحديثة والمعاصرة حول الدين الإسلامي لم تتشكل وترتسم في صفحة بيضاء خالية، إنما هي انعكاس مظلم لمرآة قديمة مشوهة موروثة عن أسلافهم من القرون الوسطى، فالتصور النمطي المشوه للإسلام لم يتشكل بسبب ضعف معرفة الأوروبيين بهذا الدين وحسب، بل بسبب تصوّرات جاهزة وضعتها أطراف متعصبة وحاقدة فعلى سبيل المثال أدب أوروبا وفكرها في القرون الوسطى وضع في غالبيته العظمى من طرف رجال الدين المسيحيين، أي كان ذا توجه كنسي عقائدي، استند في معظم مصادره إلى الحكايات الشعبية، قصص الحجاج والقديسين والمؤلفات الجدلية واللاهوتية الدفاعية للمسيحيين الشرقيين ولكن كانت كل المعلومات المقدمة تقريبًا تنتزع من سياقها الأصلي ثم تقدم إلى القارئ الأوروبي، ومن هنا كان التشويه متعمد ومقصود.

3. الإسلام في المخيال الإستشراقي:

بعد القرون الوسطى حصل في أوروبا عملية فكرية بطيئة تشكلت ضمن دائرة ضيقة من المختصين الذين تراكمت معارفهم ودراستهم عن الشرق العربي والإسلام، ففي الرُبع الأخير من القرن السابع عشر للميلاد صنف **"ر.سيمون"** الذي اشتهر بكتابه "**التاريخ النقدي لعقيدة شعوب ليفانته**[*]**"** «و هو كتاب ينتقد فيه الإسلام والمسلمين بنفس الصورة التي كانت متواجدة في العصور الوسطى أما سنة 1697 بعد موت **بارتيليمي دي – اربيلو** طبع مؤلفه الشهير "**المكتبة الشرقية**" الذي كان من حيث الجوهر، أول موسوعة جدية عن الإسلام في نظر الغرب وفي الفترة الواقعة بين 1691 – 1698 نشر "**لودوفيكوماراتشي**" أول طبعة علمية للقرآن مترجمة إلى اللاتينية، مرفقة بتفسيرات وشروحات مستفيضة قدمت القرآن بصورة سطحية و ساذجة غير لبقة أبعد ما يكون عن المضامين الحقيقية».[1]

---

[*].ليفانته أو ليوانطه: من الفرنسية Le Vant أو من الإيطالية Le Vante و تعني الشرق من حيث المعنى العام، فهي تسمية تطلق على البلدان المحادية للساحل الشرقي من البحر الأبيض المتوسط: سوريا – لبنان – فلسطين – مصر – تركيا – اليونان – قبرص و المعنى الضيق لهذه الكلمة فيقصد به المضمون الاثينوغرافي و الانثروبولوجي لتلك المناطق فالليفانتين يقصد بها جماعة عرقية تتضمن العرب المسلمين و أحفاد الأوروبيين الذين استوطنوا سواحل بلاد الشام في عهد الحروب الصليبية و امتزجوا مع سكان الأصليين للمنطقة (العرب).

[1].أصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام. (من ص 34 إلى 43).

وفي مطلع القرن الثامن عشر ألف أستاذ اللغة العربية في **"كمبردج" س. أوكلي** كتاب "**تاريخ السراتين**" وأُعتبر هذا المصنف أول كتاب يُنشر في انجلترا عن تاريخ العرب المسلمين، المشوه بدماء الصليبيين الحاملين للواء المسيحية الدين التوحيدي الحق، وفي سنة 1717م نشر "**أ.ريلان**" "**عن الديانة المحمدية** " «و هو كتاب يدور مضمونه عن التاريخ الإسلامي، لكن بمنظور مغاير، كما لعب هذا المؤلف دورًا هامًا في تغيير كثير من التصورات الأوروبية عن الإسلام، كونه تقصى الحقائق الواقعية في بعض جوانبه، كما نشر الكونت **جي بولينفيلي** مؤلفًا بعنوان "**حياة محمد**"، يتحدث فيه عن حياة النبي (ﷺ) كقائد، وزوج، لكن بطريقة هجومية بعيدة كل البعد عن أسس الموضوعية».[1]

عانت الفترة الحديثة، في الأوساط الأكاديمية خاصة من هيمنة القوالب الذهنية والتصورات النمطية القديمة المشوهة للإسلام، أما الجديد في هذا الاتجاه المعادي، فيتمثل في تحميل تلك الأنماط القديمة بشحنة إيديولوجية مغايرة تمامًا تدعي العلمية في البحث.

ففي أواخر القرن السابع عشر للميلاد خففت أوروبا من حقدها إزاء الإسلام، حين بدأ السبق الثقافي يتحوّل إلى صفها شيئًا فشيء تراجعت تلك النظرة الحاقدة التي تؤطر الإسلام كمنافس قوي في ميادين متعددة وهذا ما جعل "**مارتن لوثر**" «يتهم تصورات القرون الوسطى ويدينها في بعض جوانبها في كتاب أطلق عليه اسم: "**خرفات الأوروبيين وجهالاتهم حيال الإسلام**" وهو مؤلف تقصى فيه العلمية نوعًا ما كونه اعتمد على نماذج وعينات قريبة من الحقيقة والواقع الإسلامي».[2]

أعطى عصر التنوير للإسلام صورة مقابلة لصورته في العصور الوسطى لكن أقل حدّة نوعًا ما، لأن الأوروبيين في هذا العصر تقيدوا بالأسس العلمية والعقلية في بحوثهم و رسائلهم، ثائرين على القوالب النمطية التي صاغتها الكنيسة في أوقات سابقة، مركزين في ذلك على مركزية الإنسان في العالم، لكن عندما يتعلق الموضوع بالإسلام تكون دراساتهم مطابقة إلى حد ما للتصورات القديمة، فقد سرى نفس الاعتقاد في عصر النهضة بأنّ الإسلام دين شيطان رجيم سمائه النفاق والغموض، و لم تتغير نظرتهم لهذا الدين حتى مع معرفتهم بأن المسلمين يعتبرون محمدًا (ﷺ) نبيًا لا إلهاً.

---

[1]. مونتجومري وات: تأثير الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى. ص102.

[2]. أليكس فاسيليفيتش: الإسلام و المسيحية. ص82.

ولم يكن موقفهم من النبي (ﷺ) أو من الإسلام موقفًا عقائديًا خالصًا، فالأحداث الواقعية جعلت من هذا الدين قوة سياسية لا يستهان بها خاصة في فترة الحكم العثماني، الذي هدد بجحافله وجيوشه وأساطيله أوروبا على مدى مئات السنين، فدك ثغورها واستعمر كل مناطقها، سائرًا وفق منهج جديد أكثر شبابًا وحيوية من المسيحية.

أول من قام في القرن 19م بتخصيص كتاب عن التعاليم المحمدية كان "**هـ. هكلديوس (H.H Cludius)** "في كتابه "**دين محمد في ضوء القرآن**" وفيه يحمل على عملية العرض والتحليل والتفسير والتقييم من خلال عرض الإضافات والمفاهيم المتقلبة للفرق الدينية المحمدية، كما قام بعرض مضمون القرآن مستعينًا في ذلك بترجمة "**بويزن**" للقرآن، الطبعة الثانية الصادرة في هاله بألمانيا عام 1775م.

في مقدمة الكتاب يتحدث "**كلديوس**" «عن محمد (ﷺ) وعن القرآن وعلاقته باليهودية والمسيحية، وبعد هذه المقدمة يعرض التعاليم القرآنية المتصلة بالموضوعات التالية: الله - المخلوقات – الإنسان – الذنوب – التوبة – الإيمان – الالتزامات الأخلاقية للمؤمنين – المواد المقدسة ...، ثم يردف حديثه بعد ذلك عما ورد في القرآن من أساطير عربية، ومن كتب اليهودية والمسيحية والمشكوك في صحتها، وفي ختام مؤلفه يعطي حكمًا عامًا على الدين المحمدي من خلال مقارنته بالمسيحية مثبتا ذلك بالفِرَق المختلفة لدى المسلمين».[1]

يحاول "**كلديوس**" في كتابه هذا إثبات علمية بحثه ودقته وموضوعيته من خلال التعرض لتاريخ الدين الإسلامي وعلاقته بالقرآن الكريم محاولا في كل مرة الوقوف على التناقضات والاختلافات في المضامين التي تضعف هذا الدين، ورغم ادعاءه للموضوعية في بحثه إلا أنه لجأ لمجرد ترجمات و دراسات تاريخية غربية تعود إلى العصر الوسيط، ومع كل الافتراءات والافتراضات التي تحملها إلا أنه لم ينشغل إلا بالتركيز على إثبات التناقض في النص القرآني والدين الإسلامي.

[1]. أليكس فاسيليفيتش: الإسلام و المسيحية. ص102.

أثار الاستشراق الشكوك في العقيدة عبر نظرته للقرآن الكريم والحديث النبوي ومصادر العقيدة الإسلامية على أنها خاضعة للنقد العقلي، وحض المسلمين على ضرورة إخضاع تلك المصادر للرؤية النقدية العقلية، وبالتالي التحقيق من قدسيتها لدى المسلمين، والحضّ على تركها واستبدالها بالقوانين الوضعية البشري.

إن الذي جعل الباحثين المسلمين يلتفتون للاستشراق بهذه الالتفاتة هو خلقه للجدّل بين العرب المسلمين أنفسهم، فمنهم من أخذ يبحث في هذا المصادر المقدسة كالقران والحديث الشريف مدعٍ الموضوعية ومتخذا من النقد العقلي منهجًا لدراسته، متناسيا قدسيتها حتى انتهى به المطاف في بعض الأحيان إلى الخروج الكلي عن الدين الإسلامي وتعاليمه.

فبعد أحداث 11 سبتمبر 2001 شهد العالم تصاعدًا في الكتابات التي تطعن في الدين الإسلامي وشخصية الرسول(ﷺ)، حيث صدر العديد من الكتب التي اشتهرت وانتشرت لأسباب لا تتعلق بخبرة مؤلفيها بتاريخ الديانات وإنّما نتيجة للتعميم الذي استعملته أقلية في العالم الغربي نتيجة لشعورهم بالحزن والغضب، فلم تمض شهور قليلة حتى صدر "**ليرنارد لويس**" كتاب عن الخلفية التاريخية للأحداث في رأيه بعنوان: "**أين يكمن الخطأ؟**" ويقصد بهذا العنوان ما الشيء الذي حدث بالضبط جعل المسلمين يرتكبون أحداث 11 سبتمبر ويتجرؤون على تفجير البرجين الشهيرين في نيويورك، وتهديد العالم كله.

طبعًا أُتبعت كل أساليب الترويج لضمان النجاح لهذا الكتاب وتسويقه على أوسع نطاق ممكن من الناس، حيث يقول لويس: «هناك أشياء متأصلة و عميقة للغاية في نفسية وعقلية المسلمين تجعلهم يتصرفون على هذا النحوّ الذي شاهدناه في 11 سبتمبر».[1]

وفعلا تصدر الكتاب قائمة الكتب الأكثر مبيعًا وأعيد طبعه عدة مرات، فالجميع أراد أن يعرف المزيد عن الإسلام الذي يسمعون عنه، ولماذا يقبل بعض معتنقيه على ارتكاب الجرائم والأعمال الجنونية وبعد الاطلاع على الكتاب يدرك قراءه أنّ الإجابة هي أن المسلمين ارتكبوا هذا الجرم الشنيع لأنهم مسلمون لا أكثر ولا أقل.

---

[1].جلال أمين: عصر التشهير بالعرب المسلمين – نحن و العالم بعد 11 سبتمبر 2001، ط2، دار الشروق، القاهرة، مصر.2007 . ص74و 75.

دخل الإسلام إلى وعي معظم الأمريكيين على أنه دين يُحرّض على القتل والجرائم المريعة التي يقوم بها مجموعة من المنتحرين المخدّرين بفكرة الشهادة و الجهاد من أجل تحقيق عدالة الله على الأرض، وفي هذا السياق ألف "**جورج بوش** " كتاب **محمد مؤسس الإمبراطورية الإسلامية**" فرغم أنه كان أستاذًا في جامعة نيويورك إلا أن أسلوبه في هذا الكتاب لم يتسم بالعلمية والدقة صفتا أي بحث أكاديمي، فقد بنى مؤلفه على فكرة أن محمد (ﷺ) ليس رسولاً من عند الله عز وجل مفترضًا اتفاق أي قارئ معه دون أن يحاول إثبات صحة هذه الفكرة أو مناقشتها، و بهذا أسس بحثه على نظرية غير مؤكدة، ولعل سبب هذه الفرضية أمران، إما أن جورج بوش يخاطب الفئة المسيحية فقط وهذا السبب الأقوى، وإما أنه يرفض الخوض في مسألة النبوة المحمدية التي فيها ما فيها من أخذ ورد، ففي مقدمة كتابه « يقدم النبي العربي محمد على حد تعبيره بوصفه تلك الأداة التي سخرها الله لعنة منه على الكنيسة الشرقية، تأديبًا لها لبُعدها عن دين المسيح (عليه السلام)، فالإسلام ومحمد (ﷺ) مجرد عقوبة من الله على الكنيسة، إلا أنّ الانتصار حليف المسيحية في نهاية المطاف حيث سيعتنقها كل المسلمين ويعودوا إلى المسيح».[1]

4. الإسلام في الإعلام الغربي :

يرى **إدوارد سعيد** أن للإسلام صورة ثابتة لا تتغير، و مهما تكون المادة التي تعرضها، « فالروايات الحديثة التي أطرها النقاد كمثل رواية **"ف.س. تيبُوك" "انعطاف في النهر"** ورواية **"جون أبدايك" "الانقلاب"** وكل الكتب المدرسية المقررة في مادة التاريخ والأشرطة الهزلية و المسلسلات التلفزيونية والأفلام الفكاهية القصيرة تنبثق هذه الصورة الموحدة وتستمد مادتها من المفهوم القديم نفسه للإسلام، ولذلك يكثر تصوير المسلمين كاريكاتوريا كموردي نفط، وإرهابيين، و غوغاء عطشى للدماء والصورة الأخيرة أضيفت حديثا».[2]

---

[1].جورج بوش: محمد مؤسس الإمبراطورية الإسلامية، تر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ،ط3، دار المريخ، رياض، 2005، ص5.

[2].إدوارد سعيد: تغطية الإسلام (كيف تتحكم وسائل الإعلام الغربي في تشكيل إدراك الآخرين و فهمهم)، تر: سميرة نعيم خوري، ط1،دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان،2011. ص 91.

فقد حصر ادوارد سعيد الوسائل التي ساهمت في تغطية الإسلام إعلاميًا في العالم الغربي، حيث بدأ بالروايات الحديثة التي شكلت منعطفًا هامًا في تأطير التاريخ الإسلامي أو صورته على وجه التحديد « حيث نجد أن "**ف. سنيبول**" في رواياته الأخيرة "**مقاتلو العصابات**" أو "**فدائيون**" أو "**انعطاف في النهر**" يطرح قضية الإسلام ضمن اتجاه عدائي، حيث يرى أن الخلفية الإسلامية هي السبب الرئيسي في كل الألقاب التي يستخدمها رجال العصابات الانفعاليون، وكأنّ الإسلام بالنسبة له مُكون يبتلع جميع مظاهر العالم العربي المتنوعة، ويحيلها كلها إلى جوهر خاص شرير عديم التفكير أو العقل، ولا يمكن أن ينجم نتيجة لذلك تحليل و تفهم و فهم، بل يتواجد في الغالب الأعم تعصب و رفض لثلث سكان العالم، بسبب دوافع غير منطقية يتبناها أناس يدعون العلمية والموضوعية في كل قراراتهم وتحركاتهم غير موقنين أنهم بعيدين عنها كل البعد ».[1]

ففي سبتمبر 2005 قامت صحيفة دانماركية مشهورة "**بولاندس بوستن**" بإقامة مسابقة لرسم كاريكاتور للنبي محمد (ﷺ)، لتختار في نهاية هذه المسابقة (12) رسمة من الرسوم التي فيها أبشع أنواع الاستهزاء و السخرية من شخصيته (ﷺ)، «حيث تظهره إحداها وهو يلبس عمامة على شكل قنبلة بفتيل وقد حاولت الجالية الإسلامية وقف الصوّر لكن الجريدة رفضت ذلك وكذلك الحكومة أيدت الموقف بحجة حرية التعبير، حينها نظمت حملة في العالم الإسلامي للدفاع عن (ﷺ)، وقامت العديد من الدول الإسلامية بمقاطعة المنتجات الدانماركية».[2]

كما نشرت شركة "**كرسنت مون بيليشنغ (Crescent maanpublisting)**"كُتيب صغير كاريكاتوري اسمه "**محمد صدق و إلا**" لحساب رسام استعمل اسمًا مستعارًا "**عبد الله عزيز**"، «ويتكون هذا الكُتيب من 26 صفحة تطرح الحديث والسنة النبوية بصورة مهينة جدًّا، عدا من الرسومات التي تُظهر النبي (ﷺ) بصورة غبية بهدف إقناع السود الأمريكيين بعدم التحوّل إلى منظمة أمة الإسلام، وبسبب التجاوزات التي يقدمها هذا المؤلف رفض

[1]. إدوارد سعيد: تغطية الإسلام. ص92.

[2]. ياسمين عبد القادر محمد خليل (2017): تأثير نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة لنبي محمد (ص) على المسلمين في الدنمارك، جامعة الشرق الأوسط ، كلية الإعلام، عمان. ص21.

الناشر وضع اسمه عليه، أو حتى إضافته على موقعه الإلكتروني، و ترك الدعاية للمؤلف في حد ذاته الذي أنشأ صفحة على الانترنت للدعاية و البيع».[1]

وفي 2004م قامت **أيان ماجان** مع منتج الأفلام الهولندي "**تيوفان**" بكتابة و تصوير فيلم " **الخضوع** " والذي تدور أحداثه عن الظلم الذي تتعرض له النساء في الثقافة الإسلامية، حسب فهمها، وجد الفيلم الانتقادات من قبل المسلمين عامة، ليقتل تُيوفان على خلفية هذا الفيلم في 2004/11/02، على يد "**محمد بوبري**" و كردٌ على هذا الإرهابي، قررت الكاتبة إنتاج فيلم يتناول حياة النبي محمد (ﷺ)، المليئة بالألوان على حدّ تعبيرها، وأكدت «أن شخص سيقوم بتمثيل دور النبي (ﷺ) والذي ستظهر من خلاله كل الجوانب التي يخفيها المسلمين، و استشهدت على هذا بالقصة الخرافية التي تقول أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أحب زوجة ابنه وكيف أنه غاب في الغار وعاد معه الحل السحري لزواجه منها».[2]

كما تم تجسيد شخصية النبي (ﷺ) في فيلم إيراني جديد، والذي يزعم مخرجه "**مجيد مجيدي**" أنه يحاول الردّ على كل الإساءات التي تعرض لها (ﷺ)، وبين مؤيد ومعارض ومتحفظ جاءت ردود أفعال السنيين على كافة المستويات.

فلم يكن تناول المخرج لحياة الرسول (ﷺ) هو الذي أدى إلى كل هذه الانتقادات، ولكن تجسيد شخصية الرسول (ﷺ) لأول مرة، و هذا شيء غير معتاد وغير مسموح أيضًا، ويركز الفيلم على الجزء الأول من حياة محمد (ﷺ) أي قبل الولادة، وفاة أمه، طفولته، وتنتهي أحداثه برحلة النبي (ﷺ) إلى الشام ووصوله إلى صومعة الراهب بحيرا الذي بشّر عمه أبو طالب بظهور خاتم الأنبياء والمرسلين.

---

[1]. ياسمين عبد القادر ، تأثير نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة لنبي محمد (ص) على المسلمين في الدنمارك. ص22.

[2]. المرجع نفسه. ص59.

ورغم اعتراضات السُنيين على هذا الفيلم إلى أنّ السلطات الإيرانية قامت بالدفاع عنه، حيث قال وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي السابق "**محمد الحسيني**" «إن هذا العمل سيؤدي إلى فصل جديد من الإقبال على الدين الإسلامي، بحيث يكون ردًا محكمًا على كل السيناريوهات الغربية المسيئة ».[1]

فوسائل الإعلام ليست خالية من الضغوط، كما يقول إدوارد سعيد: « وعلى ذلك فيمكن لهذه الوسائل أن تستخدم مصطلحات مثل: الموضوعية والصدق والتغطية الواقعية والدقة لكنها كلها مصطلحات نسبية إنما تعبر عن نيات ربما، ولكنّها لا تعبر عن أهداف قابلة للتحقيق، وعندئذ فكل التحقيقات حول الإسلام، وبخاصة التي تقدمها وسائل الإعلام الأمريكية موجهة للدفاع عن إسرائيل التي ينظر لها على أنها بمنزلة معقل الحضارة الغربية وسط الأدغال الإسلامية».[2]

من خلال هذا القول يتضح أن الإعلام الغربي يخلط بين الإسلام والعنصرية، وهذه الصورة القديمة انبعثت من الأساطير والمغالطات التي ترسخت في الفكر الغربي حول الإسلام والشعوب الإسلامية، فوسائل الإعلام واقعة تحت سيطرة وكالات الأنباء الغربية ذات الإمكانات الواسعة، لتشكل بذلك أداة قوية في التأثير في الرأي العام في الدول الديمقراطية، و قد خدمت بهذه الطريقة المصالح السياسية والاقتصادية، والتخطيطية، وبالتالي فتغطية وسائل الإعلام هذه كانت محابية للدول المؤيدة للغرب في العالم، وإذا ما خرجت دولة عن هذا الإطار لم تجد التأييد، بل غالبًا ما تنشر عنها أخبار خاطئة، فوسائل الإعلام هي ذرع الدعاية الغربية، و الإسلام هو أسوء ضحية لها.

---

[1]. السعودية :الفيلم الايراني "محمد رسول الله "مجوسي يشوه الاسلام. نشرت في:
https://www.france24.com.19:25 - 2015/09/02

[2]. إدوارد سعيد :تغطية الإسلام . ص42.

5. خاتمة:

لقد حاولنا في هذه الدراسة تأطير صورة الإسلام في الفكر الغربي، هذه الصورة التي ألحقت الأذى ببلاد الشرق والدول العربية، ولا يختلف اثنان في الجهود الجبارة التي بذلها الكتاب الغربيون في دراسة التراث الثقافي العربي والإسلامي، حيث كان لهم الفضل في النبش عن الماضي وتحقيق المتون ونشر الكتب وتحريك سواكن الثقافة وجمود الفكر، ولكن عملهم كان مشبوها تشوبه الريبة وتلتصق به الاختلاقات الكاذبة ويحيط به اللبس من كل الجهات خصوصا في مجالات البحوث الخاصة بالقران الكريم والسيرة النبوية، رغم ادعائهم الموضوعية والعلمية في تحري الحقائق إلا أن هذا لم يخرجهم من دائرة التمويه والتشويه و التزييف.

فقد ارتبطت صورة الإسلام في الفكر الغربي بالعديد من الأساطير والخرافات، التي عمل الخطاب الإستشراقي على اعادة بعثها عبر التاريخ في قوالب نمطية جديدة، تكرس نفس الموقف المعادي للإسلام ورسوله (ﷺ).

كما يتلخص الصراع بين الإسلام والمسيحية في المسائل الخاصة بالطبيعة الإلهية، والتي كانت سبباً رئيسياً في خلق فروقات عديدة بين الديانتين، بالإضافة إلى الروح العدائية التي رسختها التصورات الذهنية للأوروبيين عن الإسلام ورسوله(ﷺ) في القرون الوسطى، والتي تعتبر من أهم افرازات الحروب الصلبية.

غير أن الفكر الإستشراقي الحديث تأسس على مغالطات تاريخية مقصودة، كانت مرتكزاتها الأساسية حياته (ﷺ) بشقيها المتلاحمين محمد الإنسان ومحمد الرسول، فكل الافتراءات التي لحقت بسيرته العطرة (ﷺ) كانت تتعلق بهذه الثنائية، لأن الكثير من المستشرقين الغربيين كانوا يرون أن حياته الشخصية تتناقض مع نشاط رسالته و دعوته، معتمدين في ذلك على حجج وأدلة واهية مؤسسة في معظمها على تحليلات علم النفس وما يحيط به من أمراض عصبية .

ولتأكيد هذا الموقف المعادي استغل الاعلام الغربي كل الإمكانيات والوسائل التي أتاحتها له التقنيات الحديثة لإحياء الصورة النمطية الكنسية القديمة وربطها بالأحداث والوقائع والأزمات التي يشهدها العالم بين الغرب والعرب، خالقا بذلك صورة ضبابية، محملة بتوجهات سياسية تخلط بين النشاطات الإرهابية للجماعات الإسلامية وشريعة الدين الإسلامي ، لتعمق بذلك فكرة الذعر من الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية.

قائمة المصادروالمراجع:

- أبو محمد عن الملك ابن هشام: سيرة النبي (صلى الله عليه و سلم)،ط1. دار الصحابة للتراث للنشر و التوزيع، مصر ،1995، مج1.
- أصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام (استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب)، تر: مازن مطبقاي، ط1،مركز الفكر المعاصر، دار الوعي للنشر و التوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.2013.
- أليكس فاسيليفيتش: الإسلام و المسيحية، تر: خلف محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة.1978.
- إدوارد سعيد: تغطية الإسلام (كيف تتحكم وسائل الإعلام الغربي في تشكيل إدراك الآخرين و فهمهم)، تر: سميرة نعيم خوري، ط،1دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان.2011.
- جلال أمين: عصر التشهير بالعرب المسلمين – نحن و العالم بعد 11 سبتمبر 2001، ط2، دار الشروق، القاهرة، مصر.2007.
- جورج بوش: محمد مؤسس الإمبراطورية الإسلامية، تر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط3، دار المريخ، رياض، 2005.
- عبد المنعم حنفي: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. 1990.
- قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، ط،1المجلس الوطني للثقافة و للفنون و الآداب، الكويت. 1990.
- مونتجومري وات: تأثير الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ط1،تر: حسين أحمد أمين، دار الشرق، القاهرة، مصر.1983.
- ميشيل غود فريد: في علم النفس و الطب النفسي، تر: حبيب نصر الله نصر الله،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان .2010.
-مجموعة من المؤلفين: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1،مركز الشارقة للإبداع الفكري ، باب (ب)، ج6. 1998.
-ياسمين عبد القادر محمد خليل: تأثير نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة لنبي محمد (ص) على المسلمين في الدنمارك،جامعة الشرق الأوسط ، كلية الإعلام ،عمان .الأردن.2017.
- السعودية : الفيلم الايراني "محمد رسول الله "مجوسي يشوه الاسلام. نشرت في:2015/09/02 - https://www.france24.com.19:25

R.W Souther .western Views of Islam in the middle age Cambridge.1962.